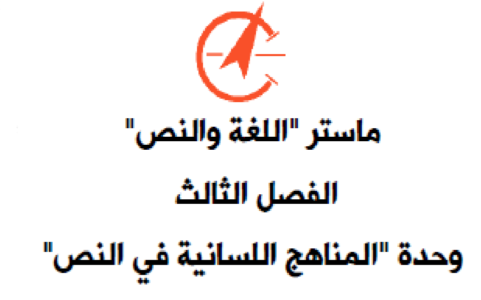


جامعة القاضي عياض

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مراكش



ماستر "اللغة والنص"

الفصل الثالث

وحدة "المناهج اللسانية في النص"

بحث حول:

المنهج النصي

وتطبيق حول المقامة الحلوانية للهمذاني

من إنجاز: – عزالدين مكسوري – عفاف حريملة

– هدى أكرب – أمينة بوطاهر

بإشراف من طرف الدكتور

الدكتور الحسن بواجلابن

الموسم الجامعي: 2015-2016م

محتويات البحث

التعريف بالمنهج 5
تعريف الاتساق 6
آليات الاتساق 6
تعريف الانسجام: 10
مبادئ الانسجام وآلياته: 11
المقامة الحلوانية 22
تطبيق حول الاتساق في المقامة الحلوانية 23
تطبيق يهم الانسجام في المقامة الحلوانية 29
الجانب الملامس من التراث العربي القديم 31
المصادر والمراجع 36

التعريف بالمنهج

تعتبر اللسانيات النصية فرعا من فروع اللسانيات، وحقلا جديدا بين الحقول المعرفية الأخرى. تشكل هذا الحقل المعرفي تدريجيا مع نهاية الستينيات من القرن الماضي وبداية السبعينيات. وقد جاء ليكون بديلا لمناهج لسانية سبقته. وينتقل بالدراسة اللسانية من محورية الجملة في الدراسة إلى النص؛ أي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، ليجعل بذلك من النص الوحدة اللغوية الدلالية الكبرى الأكثر استقلالية.

فمن المعلوم أن لسانيات النص ظهرت استجابة لضرورة تجاوز لسانيات الجملة بمختلف أنواعها وتوجهاتها وخصوصا البنيوية منها؛ لأن الجملة أصبحت قاصرة عن الاستجابة لكل مسائل الوصف اللغوي من حيث الدلالة والتداول والسياق الثقافي العام. وتعد أعمال هاريس بمثابة الإرهاصات الأولى لتحليل الخطاب، وذلك حين نشر دراستين في كتابه **تحليل الخطاب Analyse du discours** عام 1952م. وقد تطورت الدراسات النصية وتبلورت النظرية مع فان ديك، الذي سعى لبناء لسانيات نصية تدرس البنى النصية واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية. من هنا حري بنا طرح جملة من التساؤلات من قبيل:

- كيف يمكننا أن نحلل نصا؟
- ما هي المعايير التي يستقيم بها النص؟
- وما مدى نجاحها في إبراز نصية النص؟
- وما هي إسهامات العرب في هذا الجانب؟

في خضم الحديث عن لسانيات النص لا بد من الحديث عن كيفية دراسة هذا المنهج لبنية النص. وفي هذا السياق يقول محمد خطابي: «ومن أجل وصف اتساق الخطاب/ النص يسلك المحلل الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك وهلم جرا. كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/ الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متآخذا».[1]

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص 5.

تعريف الاتساق

الاتساق لغة الانتظام والاستجماع والانضمام. فكل ما انضم قد اتسق. وجاء في معجم أكسفورد الاتساق هو: «إلصاق الشيء بالشيء الآخر بالشكل الذي يشكلان وحدة مثل: اتساق العائلة الموحدة، وتثبيت الذرات بعضها ببعض لتمنح كلا واحدا». أما اصطلاحيا فالاتساق يعني الترابط بين التراكيب؛ بحيث تتآزر التراكيب لتؤلف وحدة متناسقة.

يعد البحث في الاتساق من أهم مباحث التحليل اللساني، إنه بحث يمكننا من معرفة مدى ترابط كل جملة بجملة في النص، والانتقال من جملة إلى جملة أخرى في النص بانتظام وجمالية. فالاتساق يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي؛ إذ يعرفه محمد خطابي بقوله: «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته».[1]

آليات الاتساق

يتحقق الاتساق عبر وسائل وآليات تجعل من النص الواحد كلا متكاملا، وقد حصر هاليداي ورقية حسن الأدوات التي تسهم في ربط عناصر النص ربطا يضمن له استمرارية المعنى في الآتي: الإحالة، والحذف، والاستبدال، والوصل، والاتساق المعجمي. ويمكن تقسيم الاتساق إلى قسمين حسب الآليات التي أوردها هاليداي ورقية حسن:

أ–الاتساق المعجمي

يعد الاتساق المعجمي مظهرا من مظاهر الاتساق النصي، وينقسم في رأي هاليداي ورقية حسن إلى نوعين: التكرير والتضام.

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص 5.

1 التكرير

يعرف الباحثان التكرير بأنه: «شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما»،[1] وهذا ما من شأنه أن يحقق نوعا من التلاحم والاستمرارية على مستوى الكلام.

2 التضام

وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك.[2] والتضام يحضر في النص ليسهم في اتساقه وذلك من خلال حضور بعض العناصر المعجمية التي تحكمها علاقة التعارض مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد- بنت، جلس- وقف، أحب- كره، الجنوب- الشمال، أمر- خضع، الخ[3]. إضافة إلى علاقة التعارض هناك علاقات الكلية، والجزئية، إلى غير ذلك من العلاقات.

ب- الاتساق النحوي

يتحقق الاتساق النحوي في النص من خلال الوسائل التالية: الإحالة، والحذف، والاستبدال، والوصل.

1 الإحالة

تعد الإحالة علاقة دلالية بين عنصرين؛ أحدهما محيل والآخر محال إليه، وهي عنصر هام ضمن عناصر اتساق النص. وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين: إحالة مقامية (إحالة إلى خارج النص)، وإحالة نصية (إحالة إلى داخل النص)، وهذه الأخيرة بدورها تتفرع إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية. ويذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن الإحالة المقامية «تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في(...) اتساقه بشكل مباشر،

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص24.

[2] لسانيات النص، محمد خطابي، ص 25.

[3] المرجع نفسه.

بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص»[1]. وتتفرع وسائل الاتساق الإحالية إلى ثلاث: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة.

2 الاستبدال

وهو عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر.[2] ويعد الاستبدال وسيلة أساسية تُعتمد في اتساق النص. وينقسم في رأي هاليداي وحسن إلى:

"أ استبدال اسمي، ويتم باستبدال العناصر: same, ones, one.

ب استبدال فعلي، ويمثله استعمال العنصر do.

ج استبدال قولي، ويستعمل فيه العنصران: not, so"[3].

3 الحذف

يعد الحذف من أهم الوسائل التي تحقق للنص تماسكه، وقد حدده الباحثان بأنه «علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية»[4]. وينقسم الحذف حسب هاليداي ورقية حسن إلى:

- حذف اسمي: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي، مثلا: أي قبعة ستلبس؟ هذه هي الأحسن.
- حذف فعلي: ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي- مثال ذلك: هل كنت تسبح؟ نعم، فعلت.
- الحذف داخل شبه الجملة، مثلا: كم ثمنه؟ خمسة جنيهات.

---

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص 17-18.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

[4] المرجع نفسه، ص 21.

يرى خطابي أن الحذف في الأمثلة السالفة، «يقوم بدور معين في اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال أو الإحالة. ونظن أن المظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفا عنهما هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص»[1].

4 الوصل

الوصل هو «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم»[2]. وقد فرع الباحثان الوصل إلى إضافي وعكسي وسببي وزمني:

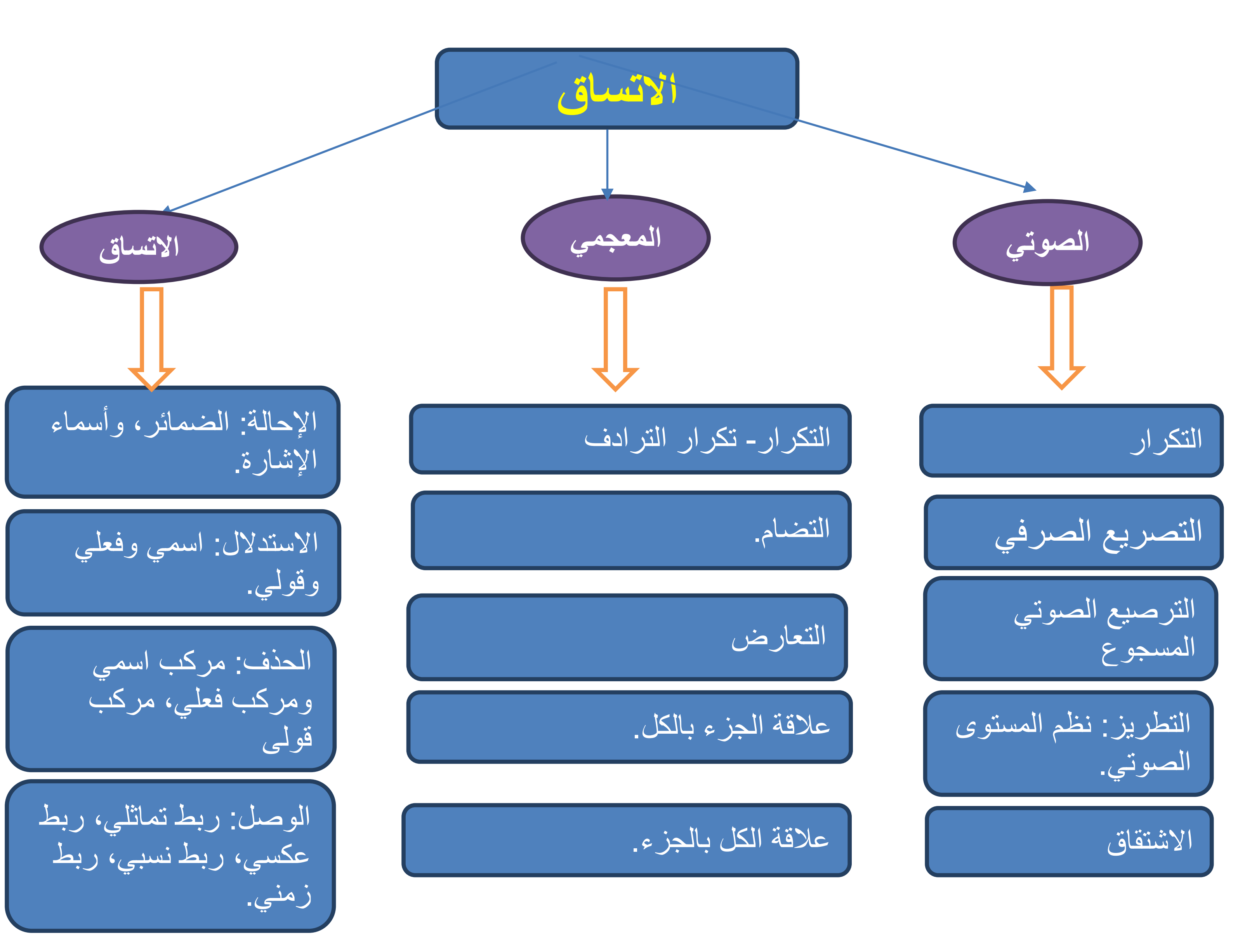
- الوصل الإضافي: ويتم بواسطة الأداتين: «و» و «أو». وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل...؛ وعلاقة الشرح، وتتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر... وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو...
- الوصل العكسي: ويعني على عكس ما هو متوقع، ويتم بواسطة أدوات مثل: (but, yet) وغيرها، وبتعابير مثلا ((nevertheless, however ... إلا أن الأداة التي تعبّر عن الوصل العكسي في نظر الباحثين، هي yet.
- الوصل السببي: يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ويعبر عنه بعناصر مثل (therefore, hence, thus, so) ... وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط...
- الوصل الزمني: ويعني علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنا، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو: then.

هذه إذن هي وسائل الاتساق التي تعتمدها النصوص في تماسكها جملة فجملة، مقطعا فمقطعا، في نظر الباحثين هاليداي ورقية حسن. فهذه الأدوات تحقق الترابط على مستوى ظاهر النص. ومن ثمة يتضح أن الاتساق يحقق للنص تماسكه الشكلي أي على مستوى البنية السطحية، لكنه لا يمنح للنص تماسكه الكلي، بل لابد من توفر عنصر آخر يضمن للنص تماسكه وهذا العنصر هو الانسجام. وهذا ما سنتطرق إليه في المحور الثاني.

---

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص 22.

[2] المرجع نفسه: ص22.



تعريف الانسجام:

جاء في لسان العرب " سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه وتسجمه سجما وسجوما وسجمانا: وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا، وكذلك الساجم من المطر، والعرب تقول دمع ساجم. ودمع مسجوم: سجمته العين سجما، وقد أسجمه وسجمه. والسجم: الدمع. وأعين سجوم: سواجم ... وكذلك عين سجوم وسحاب سجوم. وانسجم الماء والدمع، فهو منسجم إذا انسجم أي انصب. وسجمت السحابة مطرها تسجيما

وتسجاما إذا صبته"[1] من خلال هذا التحديد اللغوي لكلمة "سجم" يتضح أن الجامع بينها وبين المقصود بالانسجام في الدراسات اللسانية هو معنى دوام الانسكاب والانصباب واتصاله، حتى أن المطر المنسجم يبدو كالخيوط المتصلة. فالانسجام في اللغة هو ضم الشيء الى الشيء، وفي الاصطلاح هو مجموع الاليات والعمليات الظاهرة والخفية التي تجعل قارئ النص أو الخطاب قادرا على فهمه وتأويله. فهو عبارة عن العلاقات والروابط الخفية غير المحققة لفظا بين وحدات النص. حيث تتطلب من القارئ أن يشارك في بنائها بالاستناد الى قدراته التأويلية، بتشغيل معلوماته ومعارفه. ويرى محمد مفتاح أن مفهوم الانسجام غالبا ما يطلق أو يقصد به الالتحام علما أن هذا الالتحام يقتضي عنصرين هما التنضيد والتنسيق ويعني التنضيد الجمل التي نجد فيها أدوات العطف ومختلف الروابط الأخرى التي تعلق جملة بجملة، وبالتنسيق العلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل حيث لا تكون روابط ظاهرة بينها.

انطلاقا من هذا الكلام يمكن القول بأن الانسجام أعم من الاتساق (التنضيد) الذي يهتم بالروابط التركيبية والشكلية الموجودة في ظاهرة النص، إذ يتجاوزه الى الروابط المنطقية والدلالية. ويرتبط بالعلاقات الخفية التي تنظم النص ويتوالد وفقها.

مبادئ الانسجام وآلياته:

1– السياق:

إن البنية النصية وليدة عدة سياقات ومرجعيات مختلفة، خلقتها وأكسبت عناصرها اللغوية علاقات خاصة، جعلت النص كلا موحداً، حاول المحلل النصي الوصول إليه باكتشاف هذه السياقات والإلمام بها حتى يستطيع تأويل وفهم العلاقات الكامنة فيه، لذا فإن اكتشاف التماسك النصي له علاقة وطيدة بالسياق الذي خلقه، والمتلقي الذي يكتشفه ويظهره[2].

[1] لسان العرب لابن منظور، مادة (سجم)، ج 12، ص 281

[2] ينظر، أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش، الجزء الأول، ص:117.

يرى كل من "براون ويول" أن السياق له دور مهم وفعال في تأويل وفهم وتفسير النص، فهو يتشكل لديهما من المتكلم والمستمع والزمان والمكان[1]. كما أن "هايمز" يبرز دور السياق في الفهم لأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود " إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني، فعندما نستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصيغة، والسياق بدوره- بدوره- يستبعد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق"[2]. أما في تحديده لخصائص السياق والتي لها علاقة بتحديد نوع الأحداث الكلامية يركز على ما يأتي:

- الباث (المرسل): أي المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول.
- المتلقي (المرسل اليه): وعني به السامع أو القارئ الذي يتلقى ويستقبل القول.
- المستمعين: إذ يسهم وجودهم في تحديد معنى الحدث الكلامي.
- الموضوع: أو الرسالة والذي يسميه "هايمز" محور الحديث.
- الظرف: ويقصد به السياق الزماني والمكان للحدث.
- الوضع الجسمي للأطراف المشاركة: أي العلاقات الفيزيولوجية للمتفاعلين كتقاسيم الوجه والإشارات والإيماءات.
- القناة: أي الكيفية التي يتم بها التواصل بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي لفظا، وكتابة، وإشارة.
- الشفرة المستعملة: وهي اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل.
- صيغة الرسالة: ويعني بها الشكل المقصود للخطاب، خطبة، مناظرة... الخ.
- الحدث: أي طبيعة الحدث التواصلي الذي يمكن أن نضمن داخله نمطا خطابيا معينا.

[1] لسانيات النص، محمد خطابي ص:52.

[2] تحليل الخطاب، براون، ص:47.

- الطابع: وهو الذي يتضمن تقييم الكلام.

- الغرض: وهو ما كانت تنوي الأطراف المشاركة التوصل إليه كنتيجة للحدث الكلامي.

فهذه الخصائص كلما زادت معرفة المحلل بها زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله[1].

2- مبدأ التأويل المحلي:

إن مبدأ التأول أو التأويل المحلي كما يسميه "محمد الخطابي" "يعتبر تقيدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم (محمد) مثلا"[2]، فمن خلال هذا النص يتبين أن وظيفة التأويل المحلي تقييد البعد التأويلي للنص و الخطاب، وذلك اعتمادا على خصائص السياق التي من شأنها حصر القراءات أو التأويلات الممكنة للنص، واستبعاد القراءات التعسفية التي تفرض على النص، فالتأويل إذن هو القراءة الممكنة للنص، لأن هذا الأخير ليس مغلقا على ذاته، بل هو مفتوح على القارئ يدخله في أي زاوية شاء، فينتج ويبدع نصا جديدا فوق النص الأول[3]. فهو بذلك المصطلح الأمثل للتعبير عن العمليات الذهنية على درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص والظواهر والأحداث[4]. فالتأويل المحلي يعتمد على تجاربنا السابقة في مواجهته نص أو نصوص ومواقف سابقة تشبه من قريب أو بعيد النص أو الموقف الذي نواجهه حاليا، وبفضل هذه الآلية يتم استبعاد التأويل الذي لا ينسجم ولا يتلاءم مع العناصر التأويلية والمعلومات الواردة في النص أو الخطاب.[5]

3- موضوع النص (البنية الكلية):

[1] تحليل الخطاب، براون ويول، ص:47الى 50.

[2] لسانيات النص، محمد خطابي، ص56.

[3] إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، عبد الغني بارد، ص: 337.

[4] إشكالية القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط7، 2005، ص:192.

[5] لسانيات النص، محمد خطابي، ص:57.

يمكن القول إن البنية الكلية هي الأساس في فهم النص وانسجامه انطلاقا من الوظيفة التي تقوم على تأديتها، لأنها أداة إجرائية وبنية دلالية تختزل الإخبار الدلالي وتنظمه وتصنفه[1]. حيث يقول فان ديك "المفهوم النظري الذي سنستعمله لوصف هذا المعنى الإجمالي، أي موضوع أو تيمة النص، ما هو إلا مفهوم البنية الكبرى (الدلالة)، كما هو الشأن بالنسبة لأي **بنية دلالية**، فإن البنية الكبرى تتركب أيضا من قضايا، ويمكن القول بأن البنية الكبرى أو القضايا الكبرى -بكل بساطة – تهتم بنفس الوقائع في مستوى عال أو أكثر تجريدا أو أكثر عمومية وإجمالا"[2]. انطلاقا من النص يظهر لنا أن "فان ديك" يقصد بالبنية الكلية التيمة الكبرى أو الموضوع الإجمالي للنص والذي يمكن الرجوع إليه في سائر العناصر اللغوية أو البنيات الدلالية الصغرى. حيث يصل القارئ إلى تحديد هذه البنية عن طريق العمليات التالية:

1- عملية الحذف: إن القارئ وهو يقرأ المقطع السابق يمكنه حذف الكثير من العناصر قليلة الأهمية ويبقي على جوهره فقط.

2- عملية التعميم وتتوخى هذه العملية أيضا اختزال النص ولكن بطريقة. يمكن معها إرجاع المعلومات الجزئية. إلى تصور كلي يحتضنه .

3- عملية البناء وهي شبيهة بعملية الحذف ولكنها تختلف عنها في نوعية العلاقة التي تجمع العناصر فيما بينها حيث إن البناء يقوم على متوالية من الأقوال يصب بعضها في بعض. أي أنها تدل على واقعة واحدة.

4- العنوان: وهو من أهم أدوات فك الشفرات التي تتعلق بالنص، لأنه يساعد القارئ على اكتشاف الموضوع منذ قراءته لأول مرة، كما يساعد على تأول النص.

[1] المرجع نفسه، ص:42.

[2] نظرية الأدب في القرن العشرين، فان ديك، ص 58- 59.

5- التكرار: يمكن أن يكون من أدوات الاتساق كما أن له دور في انسجام النص أيضا. مما يمكن من توصيل الرؤية التي يحملها النص، لأنه يربط الماضي النصي بلاحقه أو العكس، وبهذا حاول أن يقضي على التشتت النصي، أو على الأقل يوصله إلى أدنى حدّ من حدوده.

4- العلاقات الدلالية:

تعمل العلاقات الدلالية على جمع أطراف النص وربط متوالياته الجملية بعضها ببعض، دون ظهور وسائل شكلية في ظاهره[1]. وقد صنف جميل عبد المجيد العلاقات الدلالية- استنادا الى دراسة "أوجين نايدا" والذي أطلق عليها اسم " العلاقات الدلالية بين البنيات النووية" —كما يلي[2]:

- ✓ العلاقات الإضافية المتكافئة: وتربط بين مفهومين ذوي دلالة واحدة، غير أنهما في شكال سطحية مختلفة.
- ✓ العلاقات الإضافية المختلفة: تربط بين قضيتين متماثلتي الفحوى، إلا أن في القضية الثانية إضافة دلالية تختلف عن القضية الأولى وترتبط بها.
- ✓ العلاقة الإبدالية: تكون بين قضيتن إحداهما بديلة عن الأخرى.
- ✓ العلاقة التقابلية: وتكون بين قضيتين متقابلتين أو متضاربتين.
- ✓ العلاقة المقارنة: ويقارن فيها بين قضيتين أو حدثين أو فعلين...إلخ.
- ✓ علاقة المحتوى: تشتمل على خبر مكمل لخبر آخر.
- ✓ علاقة العام بالخاص: كأن تكون القضية الأولى عامة، وتطرقت إليها القضية الثانية بنوع من الخصوصية، أو العكس.

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص 268.

[2] ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص142.

- ✓ علاقة الإجمال والتفصيل: وهي علاقة وطيدة الصلة بتحقيق النصية، فهي تقوم على قضية مجملة في بداية أي نص، ثم يتم بعد ذلك طرح قضايا أخرى مفصلة لها تحمل دلالات ومعاني مكثفة تساعد القارئ على الفهم والاستيعاب؛ فالعنوان مثلا يعتبر مجملا لقضايا النص أو لأكثرها، لأن المؤلف يحاول اختصار معاني النص كلها في قضية يدل بها- ما أمكنه ذلك- على محتوى نصه، لذا فالعنوان يدل إجمالا للنص، وهذا الأخير يقوم بتفصيل ذلك الإجمال.
- ✓ علاقة الكل بالجزء: كأن تجسد القضية الثانية موضوعا معينا لا يتجزأ عن الموضوع الأساس الذي تحمله القضية الاولى.
- ✓ علاقة الكيفية: وتتم عبر وصف حدث ما من طريق آخر مماثل له.
- ✓ علاقة المحيط أو الإطار: تهتم بوصف الإطارين الزماني والمكاني لحدث معين.
- ✓ العلاقات المنطقية: وتجسدها العلاقات السببية باختلاف أشكالها: المسبب/ الأثر، السبب/ النتيجة، الوسيلة/ النتيجة، الوسيلة/ الغرض، الشرط/ الجواب، الأساس/ التحقق، المفترض/ النتيجة.

كانت هذه أبرز العلاقات الدلالية التي يمكن أن ترد في أي نص مثل:

- علاقة السبب بالنتيجة: التي تقوم علاقة السببية على ربط بن قضيتين، تكون إحداهما بسبب أخرى، وتساهم هذه العلاقة في التحام أجزاء الجملة الواحدة، أو مجموعة من الجمل.
- علاقة الشرط بالجواب: وهي من العلاقات الثانوية، التي تسهم في بناء الخطبة، إلا أنها لا توجد بشكل أساسي، لأنها تواردها يقل نسبيا عن باقي العلاقات. ويعلن عن وجود هذه العلاقة أدوات الربط النحوية مثل: لو، لولا، إذا، إن، من، إذ...، هذه هي الأدوات التي تعمل على ربط جملة الشرط بجملة الجواب.

5- مبدأ التشابه:

ويعني أن القارئ يحاول فهم أفكار النص وتأويله باستحضار أفكارا مماثلة سبق له تعرفها معتمدا على معارفه وخبراته السابقة، بحيث توجه الخبرات توقع القارئ لما يمكن أن يتناوله النص. ومعنى هذا أن النص يظل مرتبطا بنصوص أخرى مماثلة..

6- مبدأ التغريض:

يعرف كل من " براون" و "يول" التغريض بأنه نقطة بداية قول ما، ولما كان الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية ونهاية. فإن التنظيم يعني الخطية التي تتحكم في تأويل الخطاب، بناء على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب، سيؤثر في تأويل ما يليه، كما أن الجملة الأولى من النص (الفقرة الأولى) لن تقيد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقية النص أيضا، بمعنى أننا نفترض أن كل جملة تشكل جزءا من توجيه متدرج متراكم، يخبرنا عن كيفية إنشاء (مفهومي التغريض والبناء) تمثيل منسجم[1]. كما يقصد بالتغريض كذلك الموضوع الرئيسي الذي يتمحور حوله الخطاب المدروس.

عمليات الانسجام:

بتتبع مبادئ الانسجام المحصلة نجد أنها تحققت عبر مجموعة من العمليات التي تقرب بين النص والمتلقي، وأول هذه العمليات نجد:

1 – عملية المعرفة الخلفية:

فهي ذلك المخزون الفكري والثقافي الذي يجعلنا نفكر في تأويل المفردات المختزلة في النص فنتعرف على دلالتها وأبعادها، حيث يربط المتلقي بىن معارفه ومعارف النص ويتحقق الانسجام سواء كانت هذه المعرفة دينية أو اجتماعيه وأخلاقية، أو سياسية كانت (هذه الخلفيات تسمى بالأطر أو البنيات)، فهي كل ما يحمله المتلقي من معلومات ومعارف تمكنه من تفسير وتحليل وتأويل النص. وهي ما يمتلكه الإنسان من تجارب عامة أو خاصة تعمل على مساعدته في إدراك العالم وما حوله وفهمه. فهذه المعرفة هي أداة من أدوات انسجام الخطاب أو النص. لأنها بمثابة ثقافة المتلقي وأداته المعرفية، وما يملكه من قدرات تساعد على إبراز التصور الذهني للأشياء. إذن هي مجموع التراكمات المعرفية والتجارب السابقة، التي خزنها العقل وراكمها بداخله، فتبدأ بالظهور وقت الحاجة إليها، وهي لا تظهر جملة، بل إن الشخص هو الذي يختار من المخزون الهائل للمعلومات ما يلائمه. يمكن تمثيلها عن طريق مجموعة من العمليات أهمها:

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص59

الأطر: وهي طريقة من طرائق تمثل المعرفة الخلفية كذلك، ونظرية الأطر من وضع "مينسكي" وتمثل الوضعيات الجاهزة أو التمثيلات النموذجية الجاهزة لوضعية ما، بحيث أن المتلقي لا يحتاج إن صادف كلمة " منزل" في خطاب ما، أن يذكر أن لهذا المنزل سقف وباب...إلخ، فتلك معلومات جاهزة.

المدونات: هي الطريقة العلمية التي يعتمدها العقل في الاستدلال على صحة فرضية ما والانتقال من عنصر الى عنصر لبناء نص منسجم مبني على درجة مقبولة ومعقولة للإقناع.

طور "بدوان" مفهوم المدونة للتعامل أساسا مع متواليات الأحداث، لكن "روجي شانك "طبقه على فهم النص مقترحا طريقة لدراستها سماها "التبعية المفهومية" بتمثيل المعاني في الجمل. وكذلك تهيىء تبعية مفهومية تسمى الجدول س ويتضمن هذا الأخير مفاهيم بينها علاقات يصفها "شانيك" كالتبعيات.

السيناريوهات: استعمل "شانفورد وكارود" 1981م مفهوم السيناريو لوصف المجال الممتد للمرجع المستعمل في تأويل نص ما، وذلك لأن المرء يمكن أن يفكر في المقامات والوضعيات كعناصر مشكلة للسيناريو التأويلي الكامن خلف النص. وبشكل عام لا تختلف نظرية السيناريو عن النظريات السابقة ما دامت الوضعيات الموصوفة جاهزة في السيناريوهات وتتضمن أيضا فراغات تتعلق ببعض العناصر المشكلة للوضعية والتي يسهل على القارئ ملؤها بمجرد تنشيط سيناريو مرتبط بهذه الوضعية أو تلك.

مثال:

الذهاب الى المطعم: هذه الجملة تعد سيناريو جاهزا ليس بحاجة إلى أن يذكر بأن المطعم هو ذلك المكان الذي يتواجد فيه نادل، وكراسي طعام وأكل .... وهذا ما يبين لنا سرعة إبراز الفهم من خلال تنشيط السيناريو المناسب. وبمجرد قول كلمة المحكمة فأول ما يتبادر الى ذهن المتلقي سيناريو يتضمن وجود قاضي ومتهم ومحامي يدافع عنه لا ثبات براءته أو ما شبه ذلك.

الخطاطة: يقترح "براون ويول" النظر إليها كمعرفة خلفية منظمة تقودنا إلى توقع (أو التنبؤ) مظاهر في تأويلنا للخطاب، بدل النظر إليها كقيود حتمية على كيفية وجوب تأويل الخطاب. وتتمثل الخطاطة بشكل جلي في الأحكام المسبقة، القائمة على اختلاف الجنس أو العرق أو الديانة، لأنها اعتبرت في البداية بنيات معرفية تضم توجيهات حتمية تهيئ المجرب لتأويل تجربة ما بطريقة ثابتة مثل الأحكام العنصرية المسبقة التي تصدر عن الجنس البشري على الآخر بناء على خطاطة موجودة مسبقا؛ فمثلا هناك صورة العربي عند الأمريكي؛ التي تمثل ذلك

الإرهابي، المتمرد البدوي، الجاهل والهمجي ... وصورة الأمريكي عند العربي؛ ذلك المستبد، الظالم المستعمر حليف الصهيونية، الخائن للقيم الإنسانية.

الاستدلال: يقصد المؤلف "براون ويول " بالاستدلال وأنواعه أنها تلك العملية التي يجب على القارئ القيام بها للانتقال من المعنى الحرفي لما هو مكتوب (الرسالة) إلى ما يريد الكاتب أو المتكلم إيصاله . فجملة "البرد قارس والنافذة مفتوحة" تتضمن طلبا غير مباشر، يمكن للقارئ الوصول إليه أو استخلاصه عن طريق الاستدلال فمعنى الجملة هو: من فضلك اغلق هذه النافذة.

أ. الاستدلال كافتراض تجسيري: هذه العملية تجعل الترابط بين الجملتين صريحا ظاهرا بتعبير صوري؛ فالجملتان "اجتزنا امتحانات الدورة العادية" و "كان النحو صعبا" نستنتج منهما أن النحو كان من المواد التي قمنا باجتيازها في امتحانات الدورة.

ب . الاستدلال كرابط مفقود: يمكن وصفه بالتجسيري أيضا كما سماه "هافيلاند" لأنهما متداخلان إلى حد كبير ومثاله ما قدمه الخطابي: أ . اشترت دراجة ب . الإطار واسع.

يعني الدراجة تحتوي على إطار أي علاقة الجزء بالكل.

ج . الاستدلال والترابط غير الآلي.

د . الاستدلال كملأ الفراغ أو التقطيع والتأويل

حيث يتم الاستدلال انطلاقا من مجموعة أسئلة الفهم (من، ماذا، أين، متى) فإن اتضح أن الإجابة عن بعض هذه الأسئلة تتطلب من القارئ عملا تأويليا إضافيا، مثل ملء الفراغات والتقطعات في تأويله، فإننا سنجد أساسا من أجل التنبؤ بنوع الاستدلالات المطلوبة.

2– المعرفة التنظيمية الخلفية:

يقصد بها تمثيلات القراء والمتلقين حول أنماط الخطاب والإطارات المنظمة للقول وإنتاج النصوص. فإشارة واحدة من النص تستدعي لدى القارئ معرفة مجاله وجنسه ونمطه وطرائق استدلاله، وخلفيته النظرية، أي كل ما

يستحضره من تمثيلات حول النص مرتبة بانتظام كتحديد مجال النص وجنسه ونمطه وخلفيته النظرية مما يساعد على فهم النص والانسجام مع معطياته.

فهي العملية التي تمكننا من تنظيم أفكار النص من العام الى الخاص حسب الأهمية.

المستوى التداولي: سنتطرق في هذا المبحث الذي يتعلق بالمستوى التداولي للنص انطلاقا من المعايير التي قدمها دي بوجراند والتي تسهم في التوصل الى الغاية المرجوة ألا وهي تحقيق النصية، ومعرفة مدى انسجام النص وتماسكه، ومن بين هذه المعايير نجد

- القصدية Intentionnalité: وتتضمن موقف منتج النص لأنه الفاعل في اللغة والقادر على تشكيلها وتركيبها، ويعد "أوستين" أول من قال بأن اللغة نشاط ينجزه المتكلم مدعما بنية وقصدا **يريد تحقيقه، فلكل نص غاية وقصد يود إيصاله للمتلقي عبر نصه.**
- **المقبولية** Acceptabilité: والمقصود من ذلك هو مدى استحسان القارئ للنص الذي تلقاه، باعتباره شريكا في العملية الانتاجية للنص، وبالتالي فقراءته تعد عملية إبداعية ثانية.
- **الموقفية** Situationalité: وتشمل جميع العوامل التي تجعل نصا معينا مرتبطا بموقف معين يمكن استرجاعه، كما يمكن مراقبته وتغييره.
- **التناص** Intertextualité: ويتضمن العلاقات التي تربط بين نص ما ونصوص أخرى وقعت في حدود تجربة سابقة.

وتعد "جوليا كريستيفا J. Kristiva أول من قدم مفهوما محددا للتناص في منتصف الستينيات من القرن العشرين وقالت بأن النص الواحد ما هو إلا محاورة لجملة من نصوص أخرى سبقته، في حين يرى "بارت" أنه لا يظهر إلا في عالم مليء بالنصوص السابقة له، أو التي تحضر فيه[1].

- **الإعلامية** Informativité: وهي العوامل المؤثرة بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية في مقابل البدائل الممكنة، والإعلامية ترتبط بمدى توقع المتلقي للمعلومات الواردة في النص من عدمها، إذ يمكن أن تقود الى رفض النص إذا كان لا يتوفر على الكم المناسب من المعلومات.

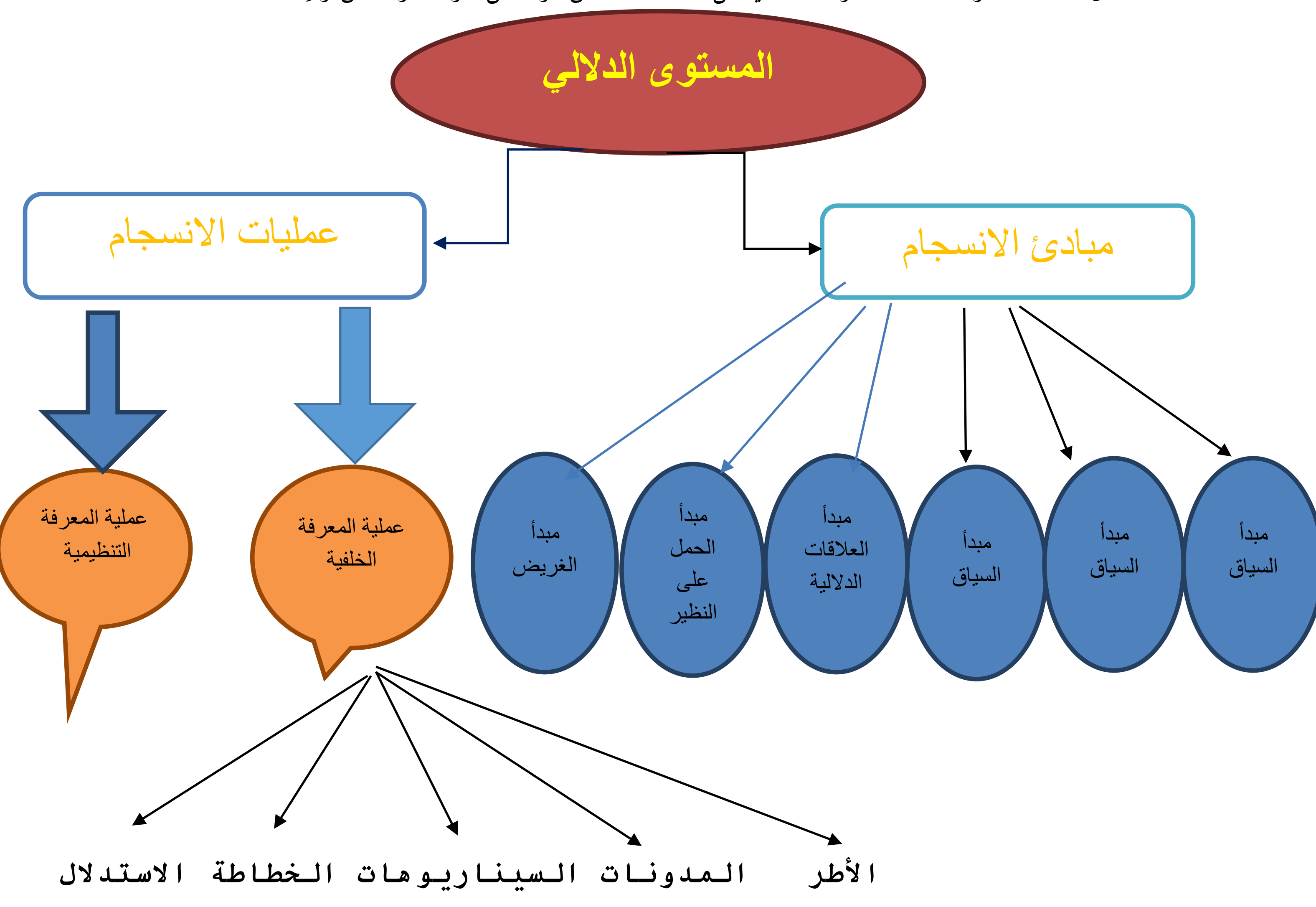
[1] ينظر: لذة النص عند بارت، أو مغامرة الكتابة لدى بارت، عمر أوكان، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، (د ت)، ص:30.

ويمكن أيضا تصنيف هذه المعايير على النحو التالي:[1]

1- ما يتعلق بالنص في حد ذاته وهما: الاتساق والانسجام.

2- ما يتعلق بالمرسل والمتلقي وهما: القصدية والمقبولية.

ما يتعلق بالسياق سواء كان ماديا أو ثقافيا أي كل ما يحيط بالنص، ويشمل الموقفية والتناص والإعلامية.



[1] ينظر: نحو أرجومية للنص الشعري، سعد مصلوح، ص154.

المقامة الحلوانية[1]

حدثنا عيسى بن هشام قال: لما قفلت من الحج فيمن قفل، ونزلت حلوان مع من نزل، قُلت لغلامي: أجد شعري طويلا، وقد اتسخ بدني قليلا، فاختر لنا حمّامًا ندخله، وحجّامًا نستعمله، وليكن الحمّام واسع الرُّقعة نظيف البُقعة طيّب الهواء، مُعتدل الماء، وليكن الحجّام خفيفَ اليد، حديدَ الموسِى، نظيفَ الثياب، قليلَ الفُضول. فخرج مليًّا، وعاد بطيا، وقال قد اخترته كما رسمْتَ، فأخذنا إلى الحمام السمتْ. وأتيناه فلم نرى قِوامه، لكني دخلته ودخل على أثري رجلٌ وعمد إلى قطعة طين فلطَّخ بها جبيني ووضعها على رأسي، ثم خرج. ودخل آخر فجعل يدلكني دلكاً يكد العظام، ويغْمزني غمزاً يهد الأوصال، وَيصْفرُ صفيراً يرشُّ البُزاق، ثم عمد إلى رأسي يغسله وإلى الماء يرسله. وما لبث أن دخل الأول فحيا أخدع الثاني بمضمومة قعقعت أنيابه، وقال: يا لُكع مالك ولهذا الرأس وهو لي؟ ثم عطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حجابه، وقال: بل هذا الرأس حقي ومِلْكي وفي يدي ثم تلاكما حتى عييا وتحاكما لما بقيا. فأتيا صاحب الحمام فقال الأول: أنا صاحب الرأس لأني لطخت جبينه ووضعت عليه طينه، وقال الثاني بل أنا مالكه لأني دلكت حامله، وغمزت مفاصله. فقال الحمامي: ائتوني بصاحب الرأس لأسأله ألك هذا الرأس أم له؟ فأتياني وقالا: لنا عندك شهادة فتجشم، فقمت وأتيت، شئت أم أبيت، فقال الحمامي: يا رجل لا تقل غير الصدق ولا تشهد بغير الحق وقُل لي هذا الرأس لأيهما؟ فقلت: يا عفاك الله هذا رأسي قد صحبني في الطريق، وطاف معي بالبيت العتيق، وما شككت أنه لي، فقال لي: أُسكت يا فضولي، ثم مال إلى أحد الخصمين فقال يا هذا: إلى كم هذه المنافسة مع الناس بهذا الرأس، تسل عن قليل خطره إلى لعنة الله وحر سقره، وهب أن هذا الرأس ليس، وأنّا لم نر هذا التيس.

قال عيسى بن هشام فقمت من ذلك المكان خجلا، ولبست الثياب وجلا، وانسللت من الحمام عجلا. وسببت الغلام بالعض والمص، ودققته دق الجص، وقلت لآخر: اذهب فأتني بحجام يحط عني هذا الثقل، فجاءني برجل لطيف البنية، مليح الحلية، في صورة الدمية، فارتحت إليه، ودخل فقال: السلام عليك، ومن أي بلد أنت؟ فقلت: (أنا) من قم، فقال: حياك الله! من أرض النعمة والرفاهة وبلد السنة والجماعة، ولقد حضرت في شهر رمضان جامعها وقد أشعلت فيه المصابيح، وأقيمت التراويح، فما شعرنا إلا بمد النيل، وقد أتى على تلك القناديل، لكن صنع الله لي بخف قد كنت لبسته رطبا فلم يحصل طرازه على كمه، وعاد الصبي إلى أمه، بعد أن صليت العتمة

[1] مقامات بديع الزمان الهمذاني: بديع الزمان الهمذاني، تقديم وشرح الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1426هـ – 2005م، ص197 .

واعتدل الظل، ولكن كيف كان حجك؟ هل قضيت مناسكه كما وجب؟ وصاحوا: العجب العجب. فنظرت إلى المنارة، وما أهون الحرب على النظارة، ووجدت الهريسة على حالها، وعلمت أن الأمر بقضاء من الله وقدر، وإلى متى هذا الضجر؟ واليوم وغد، والسبت والأحد، ولا أطيل وما هذا القال والقيل؟ ولكن أحببت أن تعلم أن المبرد في النحو حديد الموسى فلا تشتغل بقول العامة؛ فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنت قد حلقت رأسك، فهل ترى أن تبتدئ؟

قال عيسى بن هشام: فبقيت متحيرا من بيانه، في هذيانه، وخشيت أن يطول مجلسه، فقلت: إلى غد إن شاء الله، وسألت عنه من حضر، فقالوا: هذا رجل من بلاد الإسكندرية لم يوافقه هذا الماء، فغلبت عليه السوداء، وهو طول النهار يهذي كما ترى، ووراءه فضل كثير، فقلت: قد سمعت به، وعز عليّ جنونه، وأنشأت أقول:

أنا أعطي الله عـــــهدا ... محـــــكما في النذر عقدا

لا حـــــلقت الرأس ما عش ... ت ولو لاقيت جـــــهدا

تطبيق حول الاتساق في المقامة الحلوانية

نحاول أن نبين في هذا التطبيق العناصر التي تسهم في تماسك أجزاء هذه المقامة من خلال مستوياتها المختلفة، مركزين على الاتساق النحوي المعجمي لأنه الأهم، حيث سنبحث فيه على الروابط الشكلية التي تجعل النص وحدة تركيبية موحدة، أي كلا مترابطا من خلال عناصر معروفة وهي: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل. والاتساق المعجمي. ثم ننتقل إلى تحليل الاتساق الصوتي وإن لم يشر إليه كثير من الباحثين، ثم نختم ببيان العلاقات الموجودة بين تلك الأجزاء.

الاتساق النحوي– المعجمي.

الإحالة

أول عنصر في الاتساق النحوي المعجمي الإحالة، وهي تنقسم إلى إحالة مقامية وإحالة نصية؛ فالإحالة المقامية نجدها بداية مع الجملة الأولى في المقامة وهي العنوان، الذي يعبر عن كوننا أمام نص نثري أدبي، يعتمد على الفكاهة ويعتمد على السخرية من بعض الظواهر المجتمعية. وهو فن قائم على الصنعة اللغوية. والمقامة الهمذانية

قصة قصيرة ترتكز على ثلاثة أسس؛ الراوي وهو غالبا عيسى ابن هشام، وفي الغالب ما يكون أبو الفتح الإسكندري، الشخصية الذكية، البليغة، الخادعة أحيانا بطل هذه المقامات، والأساس الثالث الملحة. والمقامة فن بدأ مع بديع الزمان الهمذاني المتوفي في 398هـ، صاحب النص الذي بين أيدينا. كتب العديد من المقامات، فلم يصلنا منها إلا قرابة الخمسين. و"الحلوانية" تحيل إلى مدينة حلوان وهي كذلك إحالة خارجية في البداية، ولكن ذكرت المدينة في النص لذلك أن نحسبها مقامية ونصية. والضمير من حدثنا إحالة مقامية أخرى دالة على الكاتب، لأن شخصيته خارجية غير منصوص عليها داخل النص.

الإحالة النصية تتمثل في الضمائر، وأسماء الإشارة، والإحالة بالمقارنة. فأما الضمائر فهي نوعين؛ الضمائر القبلية، والضمائر البعدية. وليس في النص إلا الضمائر القبلية، أي التي تحيل إلى ما سبقها. وحيث أن الضمائر تنقسم إلى وجودية وملكية، وهذا تصنيف لا نجد له هنا جدوى، صنفنا الضمائر حسب ما تحيل إليه، وفي حالة وجود ضمائر متصلة تم إثباتها بما تتصل به، فإن كان مستترة، تم إثباتها مع فعلها، فجاءت النتائج وفق الآتي:

-الإحالة إلى "عيسى ابن هشام": قال-قفلت-نزلت-قُلت-دخلته-فقلت-أُسكت-أجد-ندخله-نستعمله-أتيناه-فأخذنا-نرى-رسمتَ-يغْمزني-يدلكني-لكني-فأتياني-فقمت-أتيت-شئت-أبيت-تقل-شككت-صحبني-معي-شعري-بدني-أثري-جبيني-رأسي-رأسي-رأسي-لي-غلامي-فقمت-لبست-انسللتسببت-دققته-قلت-فأتني-عني-فجاءني-فارتحت-عليك-أنت-فقلت-(أنا)-حياك-حجك-قضيت-فبقيت-خشيت-فقلت-سألت-أقول-أنشأت-عليّ-سمعت-فقلت-عشت -لاقيت...

من هذه الإحالات ما هو ضمير مستتر، ومنها ما هو ضمير رفع يدل على الفاعلية (قمت- رسمتَ..)، ومنها ما هو ضمير نصب يدل على المفعولية (يغمزني- يدلكني...)، ومنها ما هو ضمير جر يفيد الملكية إن اتصل باسم، أو يدل على المفعولية بتعدية الفعل إلى الاسم المجرور الذي هو المحال (أثري- رأسي-لي...).

والملاحظ أن هذه الإحالة لوحدها قد شملت النص كله، من بدايته إلى نهايته، موحدة بين أكثر جمله. مما يؤكد أن هذا العنصر له فعالية في تماسك النص وترابطه.

وهناك إحالات أخرى، منها الإحالة إلى القيم الأول، ثم القيم الثاني، ثم صاحب الحمام، والغلام الأول، والغلام الثاني، والحجام، وأهل البلدة، وقطعة الطين، ورمضان......

أسماء الإشارة: استعمل اسم الإشارة المفرد المذكر الدال على القريب أربع عشرة مرة للإحالة على رأس الراوي (7 مرات)، ومرة واحدة على كل من الراوي، والمنافسة، وأحد العاملين في الحمام، والضجر، والقيل والقال، والحجام، وماء حلوان. واستعمل اسم الإشارة المفرد المذكر الدال على البعيد (ذلك) مرة واحدة محيلا إلى الحمام.

أدوات المقارنة: تفيد التطابق والتشابه والاختلاف بين الأشياء، ولم نجد في النص ما يفيد ذلك سوى "أم" التي ذكرت مرتين لتدل على التسوية، في قوله "شئت أم أبيت"، فحكم العنصر الثاني مشابه لحكم العنصر الأول، أي مساو له.

الاستبدال: الاستبدال تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو علاقة إحالة، إلا أنه يتم على المستوى النحوي- المعجمي بين كلمات أو عبارات. الفرق بينه وبين الإحالة أن الأخيرة تنبني على التطابق، والاستبدال ينبني على التطابق الذي يقتضي إعادة التحديد الذي يترتب عنه الاستبعاد. والاستبدال ثلاثة أنواع:

الاستبدال الاسمي: نجده في النص في التعبير بكلمة "آخر" بدل "رجل"، وعبر ب "الأول" و "الثاني" بدل "الرجل" و"الآخر"، ثم عبر ب "مجموعة" بدل "مضمومة"، والمجموعة هي المضمومة. ونجد كذلك استعمال الكاتب للفظ" الحمامي" بدل "صاحب الحمام". نفس الشيء ينطبق على لفظي "القناديل" و "المصابيح"، ثم لفظي "هذيانه" و "جنونه"، ولفظي "الثقل" و" الشعر".

الاستبدال القولي: عبر الكاتب عن كل ما قاله الحجام بالبيان، عندما قال: "فبقيت متحيرا من بيانه". وبيان الحجام اختصار لما كان يقوله منذ دخوله عند الراوي.

الاستبدال العباري: أعاد الكاتب المعنى نفسه لعبارة "لا تقل غير الصدق" عندما قال "ولا تشهد بغير الحق". أو يمكن أن نقسمه فنجعله استبدالا فعليا بين 'لا تقل" و "لا تشهد"، ثم استبدالا اسميا بين " الحق" و "الصدق".

الحذف: هو ما يعرف بالاستبدال الصفر، أي استبدال لاحق محذوف لا أثر له بسابق. ويمكن أن نقدم بعض الأمثلة عنه في الآتي:

المثال الأول: لما قفلت من الحج فيمن قفل (الحج)، ونزلت حلوان مع من نزل (حلوان)... والمحذوف هو ما أشير إليه داخل الأقواس. وهنا جاء حذف المفعول به بسبب ذكره سلفا، أي أنه معلوم.

المثال الثاني: فاختر لنا حمّامًا ندخله (لتنظيف بدني)، وحجّامًا نستعمله (لحلق شعري) ... إذا أقصينا ما بداخل الأقواس، ودون قراءة المقامة من البداية فالمعنى ناقص، وكمال المعنى يتم باستحضار القارئ لما حذف.

المثال الثالث: ومن أي بلد أنت؟ فقلت: (أنا) من قم. والمحذوف هنا هو المبتدأ "أنا" لدلالة السياق عليه.

وهناك أمثلة كثيرة لهذا العنصر نضيف إلى ما سبق المثالين التاليين:

مثال رابع: بعد أن صليت (الصلاة الكائنة في وقت) العتمة واعتدل الظل، فهل ترى أن نبتدئ(الحلق)؟، العتمة هي الظلام، وهو لفظ يقصد به هنا وقت العشاء، فالعتمة لا تصلى وإنما الذي يصلى الصلاة الكائنة في ذلك الوقت. أما في الجملة الثانية فقد حذف المفعول به لدلالة السياق عليه، وهو مذكور منذ البداية وعليه طلب من الحجام الحضور.

مثال خامس: فقلت: إلى غد إن شاء الله (أحلق)... حذف الفعل وفاعله اللذان يتعلق بهما شبه الجملة إلى الغد، والسياق دال عليه.

الوصل: يتم الوصل بعدة أدوات ذات وظيفة واحدة وهي الربط ما بين الجمل، لكن تختلف فيما بينها من حيث الدلالة، ونقسم أدوات الوصل إلى:

–الوصل الإضافي: اعتمد فيه الكاتب على حروف العطف أساسا، حيث استعملها فيها العطف بالواو في اثنتين وسبعين مرة. ومما هو معلوم أن الواو عنصر وصل إضافي لأنه لا يفيد لا ترتيبا ولا تعقيبا أو تراخيا للأحداث، لكن مع أحداث النص نحس أن هناك ترتيبا لا محالة. واستعمل الكاتب للوصل الإضافي الفاء للربط بين الجمل دون إرادة التعقيب.

–الوصل العكسي: استعمل الكاتب له "لكن" ثلاث مرات، الأولى يستدرك فيها الراوي على عدم وجود القوام بدخوله الحمام، أو صغر حجم الحمام. والثانية يستدرك فيها الحجام على ما لحقه من مد النيل الذي أتى على القناديل. والثالثة يستدرك فيها الحجام على ما قاله بسؤاله الراوي عن حجه. واستعمل الكاتب "بل" وهي حرف إضراب مرتين في شجار القيمين وتأكيدهما على أحقيتهما في خدمة الزبون.

–الوصل السببي: تفيده أساليب الشرط وألفاظ السببية والنتيجة: وجاءت في النص باستعمال "لام التعليل" ثلاث مرات؛ المرة الأولى لتعليل أحقية القيم الأول في خدمة الراوي، حيث قال القيم "أنا صاحب الرأس لأني

لطخت جبينه ووضعت عليه طينه"، والمرة الثانية لتعليل طلب الحمامي قدوم الراوي، بقوله للقيمين: "ائتوني بصاحب الرأس لأسأله ألك هذا الرأس أم له"، والمرة الثالثة، لتعليل أحقية القيم الثاني في خدمة الراوي، حيث قال: "أنا مالكه، لأني دلكت حامله". جاء الفاء سببية في قوله: "ولكن أحببت أن تعلم أن المبرد في النحو حديد الموسى فلا تشتغل بقول العامة"، فذكر الحجام أن كون المبرد حديد الموسى سبب كاف يجعله لا يشتغل بقول العامة، واستعمل الفاء مرة ثانية في قوله: "لنا عندك شهادة فتجشم "، أي أن الشهادة سبب يجعلنا نطلب منك تجشم الأمر لفعله.

–الوصل الزمني: ويقع بكل أداة تفيد تتابع حدثين زمنيا. وهو ممثل في النص باستعمال فاء العطف سبعا وعشرين مرة، وهي تفيد الترتيب مع التعقيب. و "ثم" استعملت خمس مرات وهي تفيد الترتيب مع التراخي. وهناك أسماء قامت بالوصل الزمني، وهي "لما" في الجملة الأولى "لما قفلت الحج فيمن قفل ... قلت لغلامي..."، و" بعد " في قوله: "وعاد الصبي إلى أمه، بعد أن صليت العتمة واعتدل الظل".

الاتساق المعجمي: يرصد الاتساق المعجمي أنواع العلاقات بين مفردات النص، وهذه بعض العلاقات وبعض أمثلتها:

– التكرير: الرأس – الرجل – حمام– حديد الموسى– القول.

–ألفاظ مترادفة: بلد – أرض؛ مضمومة – مجموعة؛ فخرج مليًّا – وعاد بطيا.

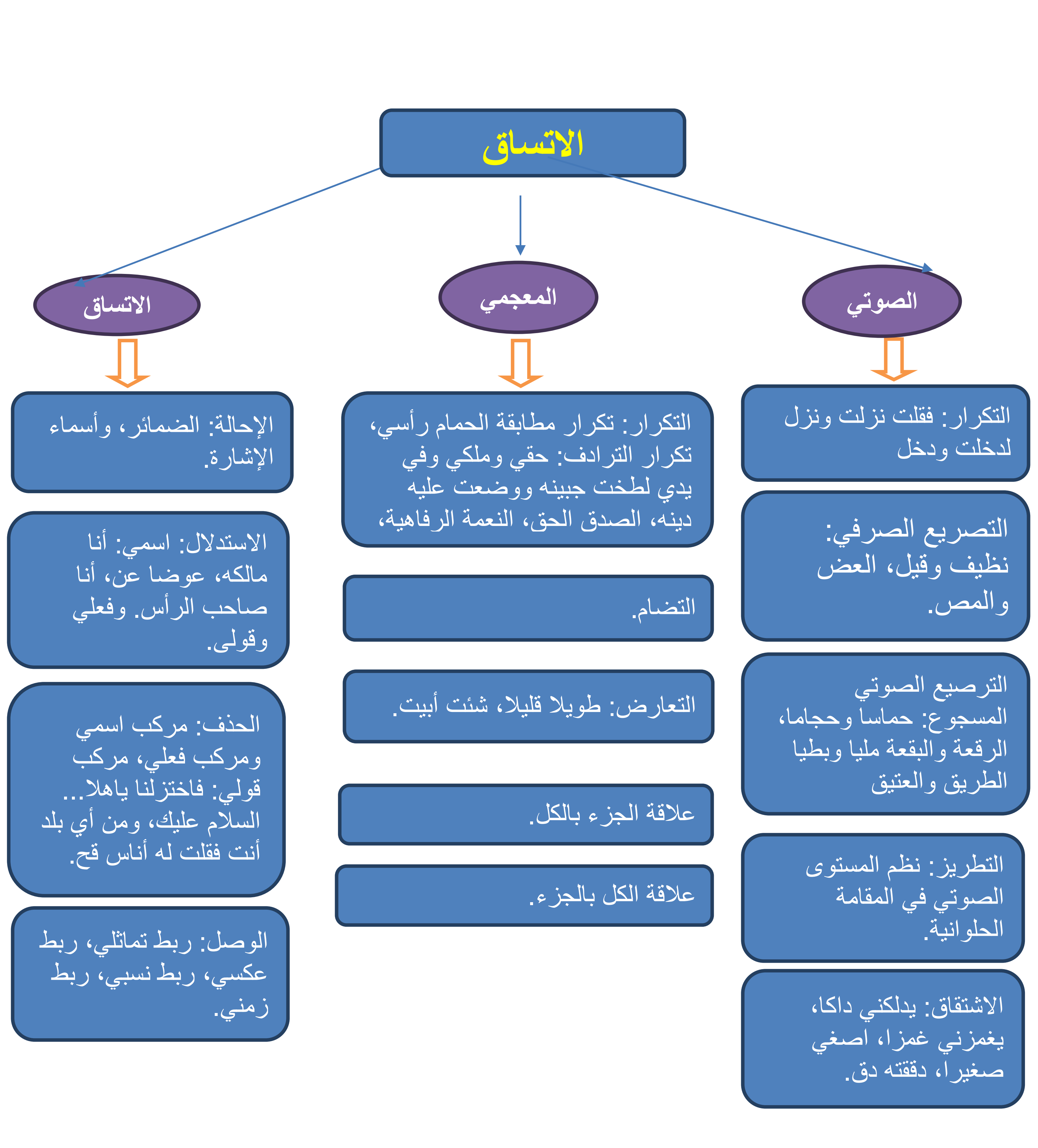
–الاشتقاق: حمام– حمامي؛ يغمزني– غمزا.

–علاقة العام بالخاص: الحج– وطاف معي بالبيت العتيق؛ رأسي – جبيني.

–علاقة السبب بالنتيجة: لعنة الله– حر سقر

–تضاد: شئت – أبيت؛

–التجاور: الأول – الثاني؛ صليت– الحج؛ السبت– الأحد


الاتساق
الصوتي
المعجمي
الاتساق
التكرار: فقلت نزلت ونزل لدخلت ودخل
التصريع الصرفي: نظيف وقيل، العض والمص.
الترصيع الصوتي المسجوع: حماسا وحجاما، الرقعة والبقعة مليا وبطيا الطريق والعتيق
التطريز: نظم المستوى الصوتي في المقامة الحلوانية.
الاشتقاق: يدلكني داكا، يغمزني غمزا، اصغي صغيرا، دققته دق.
التكرار: تكرار مطابقة الحمام رأسي، تكرار الترادف: حقي وملكي وفي يدي لطخت جبينه ووضعت عليه دينه، الصدق الحق، النعمة الرفاهية،
التضاد.
التعارض: طويلا قليلا، شئت أبيت.
علاقة الجزء بالكل.
علاقة الكل بالجزء.
الإحالة: الضمائر، وأسماء الإشارة.
الاستدلال: اسمي: أنا مالكه، عوضا عن، أنا صاحب الرأس. وفعلي وقولي.
الحذف: مركب اسمي ومركب فعلي، مركب قولي: فاختزلنا ياهلا... السلام عليك، ومن أي بلد أنت فقلت له أناس قح.
الوصل: ربط تماثلي، ربط عكسي، ربط نسبي، ربط زمني.

تطبيق يهم الانسجام في المقامة الحلوانية

ليفهم المتلقي نص المقامة ويعمد لتأويله حتى يتحقق انسجام مقصد المقامة الحلوانية عليه أن يلجأ بداية إلى إجراءين:

أولا: تعريف السياق: وهو في نص المقامة الحلوانية نوعان:

السياق الخارجي. المرسل وهو الهمداني، المرسل إليه الناشئة العربية، والسياق هو تعليم الناس أصول اللغة العربية وغريبها، هنا يكتسب نص المقامة بعدا ديداكتيكيا.

السياق الداخلي: المرسل هو عيسى بن هشام، المتلقي هو القارئ العربي.

من محققات الانسجام تأويل القارئ النص وهو ما لا يتأتى. ما لم يستحضر القارئ انبناء نص المقامة الحلوانية عموما على علاقة السارد عيسى بن هشام بالبطل، أبو الفتح الاسكندري.

وتتنامى الأحداث وشخصية السارد، لكن ما إن تظهر شخصية البطل حتى يتوقف السرد.

ثانيا: إدراك البنيات الكبرى للنص وذلك باختزاله في العمليات الآتية:

- الحذف: يسقط القارئ من حسابه العناصر الزائدة، ومثاله من بداية النص إلى قول السارد كما رسمت. بإمكان القارئ أن يحذف الأسطر الأربعة الأولى، ويبقي على الجملة الآتية: "حاجة عيسى بن هشام إلى حمام وحلاق مناسبين".
- التعميم: وهو إرجاع المعلومات الجزئية إلى مضمون أو تصور عام: مثاله "وما لبث أن دخل الأول" إلى "مفاصله" (أربعة أسطر)، يمكن للقارئ أن يعوضها بالمضمون الآتي: "عراك الرجلين من أجل تنظيف جسد عيسى بن هشام".
- التعميل: تعويض مجموع الأقوال الدالة على الحدث نفسه بمضمون واحد، ومثاله قال عيسى بن هشام: "فقمت من ذلك المكان ...عجلا". يمكن للقارئ تعويض هذه الجمل بجملة واحدة وهي: الانصراف الحرج لعيسى بن هشام من الحمام.

- التأويل المحلي: من أدوات انسجام النص النسيج الموسيقي المتناسب، مما ولد إيقاعا من بدايته إلى نهايته، ويتمثل هذا النسيج الموسيقي في التصريع الصرفي المسجوع، أو التصريع المسجوع فقط. وإضافة إلى ذلك نجد الجناس والاشتقاق والتكرار.
- مبدأ الحمل على النظير: نص المقامة الحلوانية يشبه بقية المقامات الهمذانية من حيث وجود السارد نفسه والبطل المتخفي وهو أبو الفتح الإسكندري، ووجود علاقة تجمع بينهما وهي علاقة الظهور الذي يعقبه الخفاء.

التناص

مستويات اللغة في المقامة الحلوانية:

اللغة الدينية: كانت اللغة الدينية حاضرة كنوع من التناص في المقامة الحلوانية في قوله "ولقد حضرت في شهر رمضان جامعها.....التراويح"، ثم في قوله: "تسل عن قليل خطره إلى لعنة الله وحر سقره"، والمعجم المتعلق بالحق الديني باد في الألفاظ: رمضان، التراويح، لعنة الله، حر سقر...

اللغة الحجاجية: نجد النص في نصفه الأول يعتمد لغة حجاجية في مشهد وجود الراوي داخل الحمام ودخول القيمين، ثم تنازعهما على خدمته، إلى أن خرج الراوي عجلا من ذلك المكان، أي من قول القيم الأول " يا لكع مالك ولهذا الرأس وهو لي؟" إلى قول الحمامي: " وأنّا لم نر هذا التيس".

أسلوب السخرية: النص من بدايته إلى نهايته يشمل مواقف سخرية، تتمثل هذه المواقف في أفعال الخادمين بالحمام وعراكهما، ووقوف عيسى بن هشام بينهما، وحجج الخصمين، وخصومة الرجلين على شيء تافه، وطلب الحمامي الشهادة من الراوي، ثم عقاب الغلام الأول عقابا شديدا، وأخيرا ظهور الحجام بشكل يعتقد أنه يستجيب للشروط، لكن سرعان ما يظهر عيبه، والعجيب أنه يجمع بين الهذيان والبيان، وهما صفتان متنافرتان، شتان بينهما، فاللفظ جميل والتركيب أنيق، والمعنى عبارة عن هذيان.

المستوى التداولي

يمكن تحديده من خلال الانزياح وبيانه مما سيأتي:

منذ البداية أقر عيسى ابن هشام باتساخ بدنه بعد رحلة شاقة، لكن سرعان ما تراجع عن قوله، وذلك باستعمال الحال "قليلا" الذي خفف من معنى الاتساخ. هنا يحضر بعد تداولي، فمن يتكلم هو السيد، لذلك كبح الراوي

لسانه وعدل جزئيا عن كلامه السابق حتى لا تخدش مكانته كسيد. إن هذا المعنى سيتواصل مع عيسى بن هشام فهو بسبب هذا الاتساخ سيفقد شيئا فشيئا مستلزمات سيادته وكأنه كان يصارع من أجل ألا يفلت منه زمام الأمور، وأن يحافظ على مكانته الاجتماعية. وها هو لسانه زل من جديد فيستعمل الفعل "اختر" الذي أطاح بمقتضى سيادته، ولكن سرعان ما تدارك الأمر باستعمال صيغة الأمر "ليكن"؛ قال الغلام "قد اخترته كما رسمت"، لقد ظن أنه يمتلك قرار الاختيار ولكنه نكص وتراجع بسرعة عن وهمه ليبين تبعيته لسيده، ويؤكد عدم استقلاليته في الاختيارات.

الجانب الملامس من التراث العربي القديم

لقد أدرك اللغويون العرب أن النص يجب أن يكون وحدة واحدة، وعبروا عن ذلك بعبارات منها (جودة السبك)، و(يفرغ إفراغا واحدا)، وقد ذكروا بعض أسس التماسك النصي التي أقام عليها العلماء المحدثون أصول نظرية تماسك النص، وإن لم يؤسسوا نظرية عربية في هذا المجال، ومن أهم ما ذُكر في هذا المجال ما جاء في البيان والتبيين، فقد نقل الجاحظ عن خلف قوله: "وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهلَ المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبِك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان."[1]. فالشعر الجيد الذي يجري على اللسان دون نبوٍّ، فهو عذب سلسال سلس الوقع متماسك الأجزاء لا انفصال بين أجزائه تماما مثل الدهن والدهان الذي يجري فلا ينفصل ولا يفترق بل متلاحم دائما. وذكر الجاحظ أيضا ما يدل على اهتمام النقاد العرب بعملية السبك، فقال: " ورأيت عامّتَهم[2] – فقد طالت مشاهدتي لهم – لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة، والمعاني المنتخَبة، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السَّهلة، والدِّيباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكِّن وعلى السَّبك الجيِّد، وعلى كلِّ كلامٍ له ماءٌ ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم، وفتحت لِلّسانِ بابَ البلاغة، ودلَّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حِسان المعاني، ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام في رُواة الكتّاب أعمَّ، وعلى ألسنة حُذَّاق الشُّعراء أظهر"[3]، ولعلهم يعنون بالسبك عملية ترتيب الألفاظ في النص، وربط بعضها ببعض؛ حتى لا يستطيع أحد أن ينقل لفظا

[1] البيان والتبيين، 1/ 67

[2] يقصد عامة رواة الأخبار. انظر: البيان والتبيين، 1/ 67

[3] البيان والتبيين، 4/ 24، وقد نقل الجرجاني كلام الجاحظ، وعبر عن إعجابه به، انظر: دلائل الإعجاز: 251

من موضع إلى آخر، وإن فعل فإن المعنى يختل، ويخرج النص من الجودة إلى الرداءة، ومن القوة والرصانة إلى الركاكة. ويلح الجاحظ على قضية جودة السبك، ففي الحيوان يقول عن أبي نواس وعلاقته بالكلاب: "وأنا كتبتُ لك رجزه في هذا الباب، لأنَّه كان عالمِا راوية، وكان قد لعب بالكلاب زمانًا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأمّلتَ شِعرَه فضّلتَهُ، إلاَّ أن تعترض عليك فيه العصبيّة، أو ترى أنّ أهل البدو أبدًا أشعرُ، وأنَّ المولَّدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحقَّ من الباطل، مادمتَ مغلوبًا"[1]. ويعنينا من هذا النص وصف الجاحظ شعر أبي نواس بأنه يتصف بجودة الطبع، فلا تكلف فيه، وجودة السبك، فهو مترابط الأجزاء غير مفككها، وهذا يدل على حذق أبي نواس صنعة الشعر. لقد ظهرت هذه النصوص في زمن مبكر جدا، وهي لا تمثل نظرية لغوية نقدية مثل نظرية تماسك النص التي تشغل بال الباحثين في العصر الحديث؛ لكنها على أية حال- وإن كانت مجرد ملحوظات في ثنايا الحديث عن الشعر أو النصوص عموما- تعد مقدمة طيبة تؤكد أن علماء العربية القدامى كان عندهم حس لغوي صحيح، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي، وكان يمكن لمن جاء من بعدهم أن يستثمر هذه الرؤية ويطورها فتصل في النهاية إلى حد النظرية العربية في اللغة والنقد؛ غير أن من جاء بعد هؤلاء العظام اكتفى بأن يكرر ما قالوه بفهم أو بغيره، قانعا من الغنيمة بذكر أمجاد الآباء والأجداد.

لقد حاول القدماء- كما ذكرنا آنفا- أن يصلوا إلى قيم فنية لنقد النصوص، ولم يكن البحث اللغوي واقفا عند حد الجملة كما يحلو لبعض الباحثين المحدثين أن يصوره؛ لكنه لم يكن يبحث النص بالمفهوم الذي نتناوله به الآن. إذا كان ما قام به خلف الأحمر وحماد، وغيرهم من الرواة من انتقاء النصوص الجيدة المتماسكة، أو جيدة السبك كما يذكر الجاحظ يعد مقدمة ونقطة انطلاق لتكوين نظرية لنقد النصوص ودراستها، وبيان الجيد منها؛ فإن ما قام به الزركشي ومن بعده السيوطي يقترب من التطبيق العملي لبعض أسس تماسك النص، ففي البرهان: "وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء

[1] الحيوان، 2/ 27

بغداد لعدم علمهم بالمناسبة انتهى"[1]. وكان بعض العلماء يتحرج من الحديث في عملية ارتباط آي القرآن وسوره عملا بأن النص القرآني يختلف عن كل النصوص، والدارس لهذا النص إما أن يجد الأمر ظاهرا فيزيده إظهارا ووضوحا، وإما أن يكون خفيا فيتركه؛ حتى لا يكون الكلام متمحلا ركيكا. وعلى رأس هؤلاء كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، يقول الزركشي: "وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر. قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها انتهى."[2]

وإذا كان بعض العلماء قد تحرج من الحديث في المناسبة اعتمادا على أن القرآن نزل في عدد كبير من السنين، ونزل منجما بحسب الوقائع والأحداث في بعض المواقف، ولم ينزل مرتبة سوره وآياته؛ فإن بعضهم قد رفض هذا الموقف، ودعا إلى الحديث في المناسبة؛ بل عاب على الفريق الأول رأيه، يقول الزركشي: "قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة. ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له".[3]

ويضيف السيوطي: "المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة

---

[1] البرهان، 1/ 36، والمناسبة تعني الارتباط، فمناسبة الآية لما قبلها تعني مدى ارتباطها بها واتصالها، وهي إجابة للسؤال: لمَ جاءت هذه الآية بعد تلك أو قبلها؟

[2] البرهان، 1/ 37

[3] البرهان في علوم القرآن، 1/ 37

والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه. وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه. وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: {يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها} وقوله: {والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون} للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك."[1]

لقد نقل السيوطي معظم ما قاله في هذه المسألة من الزركشي، وبينهما فوق مائة سنة. ومع ذلك فحسب السيوطي أنه ذكر فائدة هذا التماسك، أو فائدة المناسبة- مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها، وكذا السورة، ولننظر جيدا إلى قوله: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"، ولعل هذا الذي ذكره السيوطي هو ما يدندن حوله عامة علماء النص في العصر الحديث، أن يصبح النص متماسكا آخذا بعضه بأعناق بعض مترابطة أجزاؤه، كأنه بناء متكامل. ولم يقف العلماء العرب عند حد الإطار النظري لعملية الترابط والتلاحم هذه؛ بل ذكروا أنواعا من العلاقات في النص، وبينوا كيف تترابط النصوص الصغيرة مكونة النص الكبير في بيان مدهش. لكن يبقى أنهم لم يكونوا من هذه الملاحظات نظرية لغوية لنقد النصوص، هذا فقط هو ما ينقص عملهم ليكون عملا علميا رائعا. لقد تناول اللغويون العرب قضايا الترادف، والتقابل، والتكرار بشيء من التفصيل، لكنه ظل على مستوى البحث المعجمي، بمعنى أنهم كانوا مثلا في مجال الترادف يبحثون إمكانية وجود الترادف على المستوى اللفظي، وهل يمكن للفظة أن تقوم بدور لفظة أخرى تمام القيام؟

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، 3/ 371، 372

وأبو هلال العسكري ذهب إلى القول وهو بصدد الكلام عن الاتساق: «وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرّصف والتركيب شعبة من التّعمية، فإذا كان المعنى سبيّا، ووصف الكلام رديّا لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة. وإذا كان المعنى وسطا، ورصف الكلام جيّدا كان أحسن موقعا، وأطيب مستمعا؛ فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى وإن لم يكن مرتفعا جليلا، وإن اختلّ نظمه فضمّت الحبّة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا. وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفا لا يفسد الكلام، ولا يعمّى المعنى؛ وتضمّ كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفقها»[1]. وإلى هذا المعنى ذهب أيضا ابن طباطبا حين قال: «كالنَّسَّاج الحاذِق الَّذِي يُفَوِّفُ وَشْيَهُ بأحسَنِ التَّفْويف ويُسَدِّيه وينيره ولا يهلهل شيئا منه فيشينه»[2]. كما يتضح مفهوم الاتساق بشكل نسقي مع عبد القاهر الجرجاني في معرض تعريفه لمفهوم النظم. فالنظم هو توخي معاني النحو بين الكلام، قال: «واعلمْ أَنك إذا رجعتَ إلى نفسِك علمتَ علْماً لا يعترضُه الشكُّ، أنْ لا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعضٍ، وَيْبني بعضُها على بَعض، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يَجهلُه عاقلٌ ولا يَخْفَى على أحدٍ منَ الناس»[3]. وقال أيضا: «واعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أنَ يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المِسْلكُ، في توخّي المعاني التي عرفتَ: أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحدا، وأن يكونَ حالُكَ فيها حالَ الباني يَضعُ بيمينه ههنا في حالِ ما يَضَعُ بيَسارِه هناك»[4]. وبهذا يجعلون من الاتساق في النص قدرا محتوما، وعنصرا لزم حضوره حتى يكون النص نصا، وحتى يكون النظم نظما.

إذن، للنص أدوات إذا خلا منها سواء كانت شكلية أم دلالية، يصبح جملا متراصة لا رابط يجمعها. وهذا يعني أن النظم ووسائله، عند الجرجاني، والاتساق والانسجام ووسائلها عند علماء لسانيات النص، إذا انتفيا في النص، يخرج عن نصيته عند المحدثين، كما كان يخرج عند القدماء إلى سوء التأليق، وسوء النظم. الأمر الذي سيظهر لنا جليا عند الوقوف عند تحليل المقامة الحلوانية.

1- الصناعتين، ص107.

2- عيار الشعر، ص11.

3- دلائل الإعجاز، ص55.

4- المصدر نفسه، ص93.

المصادر والمراجع

- ابن منظور الأنصاري: " لسان العرب"، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، ج 10.
- الاتساق والانسجام في سورة الكهف: محمود بوستة.
- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1394هـ-1974م
- إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، عبد الغني بارد.
- البيان والتبيين، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418هـ 1998م.
- تحليل الخطاب، براون، ترجمة محمد لطفي الزلطيني ومنير التريكي.
- الحيوان، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي بمصر، ط2، 1384هـ- 1965م
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحروي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2005.
- رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة. عام النشر: 1384 هـ - 1964 م
- الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط1.
- عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: 471هـ): "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة،1413هـ - 1992م، ط3.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط 1، 1997.
- علم لغة النص، عزة شبل محمد.

- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس، جدارا للكتاب العالمي، عمان- الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2007.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008م.
- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي"، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، الجزء الأول.
- مقامات بديع الزمان الهمذاني: بديع الزمان الهمذاني، تقديم وشرح الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 1426هـ - 2005م.
- نحو أجرومية للنص الشعري قراءة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد 10، العدد الأول والثاني، 1991.
- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2001م، القاهرة، مصر.
- نظرية الأدب في القرن العشرين، فان ديك، ترجمة وإعداد: محمد العمري، افريقيا الشرق، 2005، ط 2، 2004.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ- 1979م